التعليم والتنمية نحو الحد من إشكالات الهجرة وتسهيل الاندماج الاجتماعي

د. عبد الرحيم بن بنعيسى بونعيسات•

د. حمده بن حسين كوكه ••

تاريخ الارسال: 2024/08/28 تاريخ القبول: 2024/10/07 تاريخ النشر : 2024/12/31

المستخلص:

تتناول هذه الورقة موضوع الهجرة بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط، حيث تسلط الضوء على القضايا والأزمات المرتبطة بهذه الظاهرة. يهدف بتحليل أسباب الهجرة، وتأثيراتها على البلدان المعنية، بالإضافة إلى استعراض التحديات التي تواجه المهاجرين والمجتمعات المضيفة.علاوة على ذلك ابراز دور التعليم كمحرك للتنمية المستدامة، ومساهمته في تحقيق فرص متساوية ومستدامة للمهاجرين. وكيف يمكن للتعليم أن يسهم في تعزيز قدرات المهاجرين، وتقديم الفرص التعليمية التي تمكنهم من المساهمة الفعّالة في مجتمعاتهم المضيفة وتحقيق التنمية المستدامة في بلدانهم الأصلية. كما تهدف هذه الورقة إلى إلقاء الضوء على الجوانب السلبية، والإيجابية للهجرة، ودور التعليم في تحويلها إلى فرص للنمو والتنمية، بالإضافة إلى استعراض التحديات والأزمات التي يجب التصدي لها بشكل جاد لتحقيق التنمية المستدامة، والاستقرار في منطقة البحر الأبيض المتوسط.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، التعليم، التنمية، الاندماج الاجتماعي.

Abstract:

This paper addresses the issue of migration between the two shores of the Mediterranean, highlighting the issues and crises associated with this phenomenon. It aims to analyze the causes of migration and its impact on the countries concerned, in addition to reviewing the challenges facing migrants and host communities. In addition, it highlights the role of education as a driver of sustainable development and its contribution to achieving equal and sustainable opportunities for migrants. And how education can contribute to enhancing the capabilities of migrants and providing educational opportunities that enable them to contribute effectively to their host communities and achieve sustainable development in their countries of origin. This paper also aims to shed light on the negative and positive aspects of migration and the role of education in transforming it into opportunities for growth and development, in addition to reviewing the challenges and crises that must be seriously addressed to achieve sustainable development and stability in the Mediterranean region.

• دكتوراه في علم النفس-كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شعيب الدكالي، الجديدة. المغرب benissant.abderrahim@ucd.ac.ma

•• دكتوراه في علم الاجتماع-كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس-تونس koukahamda80@gmail.com

Keywords: migration, education, development, social integration..

أهمية الموضوع واشكاليته البحثية:

تُعَدُّ الهجرة واحدة من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية الأكثر تأثيراً في العصر الحديث، حيث يتنقل الملايين من الأفراد عبر الحدود بحثًا عن فرص حياة أفضل، وسبل عيش كريمة، وأمان اجتماعي. وتُشكل منطقة البحر الأبيض المتوسط نقطة التقاء حضارية وثقافية، ولكنها في الوقت ذاته منطقة تعاني من أزمات متعددة تتعلق بالهجرة، مما يطرح تحديات جديدة أمام الدول والشعوب. فالهجرة ليست مجرد حركة فردية، بل هي عملية معقدة تشمل جوانب اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية. لذلك تتعدد أسباب الهجرة، بدءًا من التغيرات المناخية والنزاعات المسلحة، إلى الأزمات الاقتصادية والفقر.

وتتباين تأثيرات هذه الظاهرة على البلدان المصدرة والمستقبلة، حيث تؤثر على اقتصادات الدول وتحدياتها الاجتماعية. بينما تبرز أهمية التعليم كأداة رئيسية في معالجة القضايا المرتبطة بالهجرة، من خلال الاسهام في تعزيز قدرات المهاجرين، وتسهيل اندماجهم في المجتمعات المضيفة، وفتح آفاق جديدة للتنمية المستدامة. وعليه تحددت مشكلة البحث في التعرف على التحديات التي تواجه المهاجرين، والفرص التي يمكن أن يوفرها التعليم كوسيلة للاندماج والتنمية. من خلال تحليل الأبعاد المتعددة للهجرة ودور التعليم في تحسين أوضاع المهاجرين، وتقديم رؤى عملية تسهم في بناء سياسات تعليمية فعّالة تعزز الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي في منطقة البحر الأبيض المتوسط من خلال تعزيز التعاون الدولي والإقليمي في هذا المجال يُعد أمراً ضرورياً لتحقيق التنمية المستدامة والعدالة الاجتماعية، وهو ما ستتناوله هذه الورقة بشكل مفصل.

إحصائيات الهجرة عبر البحر الأبيض المتوسط:

تشير الإحصائيات الحديثة إلى أن حركة الهجرة عبر البحر الأبيض المتوسط تستمر في النمو بوتيرة متزايدة، مما يجعلها واحدة من أكثر الظواهر الاجتماعية والجيوسياسية أهمية في العصر الحالي. وفقًا لتقارير المنظمة الدولية للهجرة(IOM) ، فقد بلغ عدد المهاجرين الذين عبروا البحر الأبيض المتوسط في عام 2023 حوالي 120,000 شخص، وهو ما يمثل زيادة ملحوظة مقارنة بالأعوام السابقة (International Organization for Migration, 2023). هذه الأرقام تسلط الضوء على التحديات الكبيرة التي تواجهها المنطقة في التعامل مع تدفق المهاجرين، الذين غالبًا ما يواجهون مخاطر جسيمة خلال رحلتهم.

اتجاهات الهجرة والتوزيع الجغرافي:

تظهِر البيانات أن تدفق المهاجرين عبر البحر الأبيض المتوسط يتفاوت بشكل كبير بين الدول المصدرة والدول المستقبلة. ووفقًا لمفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين(UNHCR) فإن غالبية المهاجرين يأتون من دول تعاني من نزاعات مسلحة واضطرابات سياسية، مثل سوريا وليبيا، حيث دفعت الظروف القاسية الناس إلى البحث عن الأمان والاستقرار في أوروبا.

(United Nations High Commissioner for .Refugees, 2022)

وفي عام 2023 سجلت إيطاليا واليونان أعلى أعداد من المهاجرين الوافدين، مما يشير إلى تركز التدفقات في هذه الدول نتيجة لقربها الجغرافي من السواحل الأفريقية والآسيوية. وتُظهِر الإحصائيات أن حوالي 60% من المهاجرين الذين عبروا البحر الأبيض المتوسط في عام 2023 دخلوا أوروبا عبر إيطاليا، بينما استقبلت اليونان حوالي 30% منهم (Triandafyllidou, 2018).

وتشير البيانات إلى أن عدد المهاجرين يتغير سنويًا بناءً على الظروف السياسية والاقتصادية في البلدان المصدرة. على سبيل المثال، شهد عام 2021 انخفاضًا في أعداد المهاجرين نتيجة لتدابير الإغلاق والقيود المفروضة بسبب جائحة كوفيد-19، ولكن مع تخفيف القيود في عام 2023، عادت الأعداد إلى الارتفاع مرة أخرى(Fargues, 2017) . هذا التغيير السنوي يعكس الطبيعة الديناميكية للهجرة والتأثير الكبير للأحداث العالمية على تدفق المهاجرين.

التركيبة الديموغرافية للمهاجرين:

إن الإحصائيات تُظهِر أيضًا تنوعًا ديموغرافيًا كبيرًا بين المهاجرين، وحسب تقرير صادر عن المنظمة الدولية للهجرة، فإن نسبة كبيرة من المهاجرين هم من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و35 عامًا، مما يعكس الأمل في العثور على فرص عمل وحياة أفضل في أوروبا بالإضافة إلى ذلك، تشير البيانات إلى زيادة ملحوظة في عدد النساء والأطفال المهاجرين، ومما يزيد من تعقيد التحديات التي تواجههم أثناء الرحلة وبعد وصولهم إلى الدول المستقبلة.(Zimmerman, Kiss, & Hossain, 2011)

مخاطر الهجرة وتأثير السياسات الأوروبية عليها:

لا تقتصر التحديات التي يواجهها المهاجرون على المخاطر المادية مثل الغرق، بل تشمل أيضًا مخاطر الاستغلال والاتجار بالبشر. وتعتبر المنظمة الدولية للهجرة أن ما يقرب من 2% من المهاجرين يفقدون حياتهم أثناء محاولتهم عبور البحر الأبيض المتوسط، وهي نسبة تعكس خطورة الرحلة (International Organization for Migration, 2023).

علاوة على ذلك، يواجه المهاجرون مخاطر الاستغلال من قبل شبكات الاتجار بالبشر، حيث يتم استغلال النساء والأطفال بشكل خاص في الأعمال غير القانونية والعمل القسري كما تلعب السياسات التي تتبناها الدول الأوروبية دوراً حاسماً في تشكيل تدفقات الهجرة حيث تُظهِر الدراسات أن السياسات التقييدية والاتفاقيات الثنائية بين الدول الأوروبية ودول المصدر قد أسهمت في تغيير مسارات الهجرة، مما دفع المهاجرين إلى اتخاذ طرق أكثر خطورة .(Betts & Collier, 2017) على سبيل المثال، أدى التعاون بين إيطاليا وليبيا في تعزيز مراقبة الحدود إلى تغيير مسارات الهجرة نحو طرق أطول وأكثر خطورة عبر البحر الأبيض المتوسط.

أسباب الهجرة:

تتعدد أسباب الهجرة عبر البحر الأبيض المتوسط وتتشابك لتشمل مجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية. هذه العوامل تدفع الناس إلى مغادرة أوطانهم بحثًا عن حياة أفضل وأكثر استقرارًا. سنستعرض هنا بعض هذه الأسباب بتفصيل أكبر:

الأسباب الاقتصادية الفقر والبطالة:

تعتبر العوامل الاقتصادية من أبرز الأسباب التي تدفع الناس إلى الهجرة. الفقر والبطالة وانخفاض فرص العمل في العديد من الدول الأفريقية والشرق أوسطية تدفع الكثيرين إلى البحث عن فرص أفضل في أوروبا، ووفقًا للبنك الدولي، يعيش أكثر من 40% من سكان إفريقيا جنوب الصحراء في فقر مدقع، حيث يقل دخل الفرد اليومي عن 1.90 دولار .(World Bank, 2020) هذه الظروف الاقتصادية القاسية تُجبر العديد من الأفراد على اتخاذ قرارات صعبة بترك أوطانهم بحثًا عن فرص اقتصادية أفضل.

علاوة على ذلك، تشير الدراسات إلى أن البطالة المرتفعة، خاصة بين الشباب، تُعد دافعًا قويًا للهجرة. في دول مثل ليبيا وسوريا، حيث أدت الصراعات إلى تدمير الاقتصادات المحلية وزيادة البطالة إلى مستويات غير مسبوقة (Fargues, 2017) .هذا الواقع يدفع الشباب بشكل خاص إلى المخاطرة برحلات خطيرة عبر البحر الأبيض المتوسط بحثًا عن مستقبل أفضل.

الأسباب الاجتماعية والسياسية: النزاعات والحروب:

تلعب النزاعات والحروب دورًا محوريًا في دفع الناس إلى الهجرة. النزاعات المسلحة في دول مثل سوريا وليبيا واليمن تسببت في نزوح الملايين من الأشخاص الذين يفرون من العنف والاضطهاد. وتشير تقارير الأمم المتحدة إلى أن أكثر من 6.7 مليون سوري نزحوا داخليًا، بينما لجأ حوالي 5.6 مليون شخص إلى دول أخرى منذ اندلاع الحرب في عام 2011

.(United Nations High Commissioner for Refugees, 2022)

بالإضافة إلى النزاعات المسلحة، تلعب العوامل السياسية مثل القمع السياسي والتمييز دورًا في دفع الناس إلى الهجرة. في العديد من الدول، ويواجه الأفراد الاضطهاد بسبب معتقداتهم السياسية أو الدينية، مما يجعلهم يفرون بحثًا عن الأمان والحريات الأساسية. فعلى سبيل المثال، يعاني الأفراد في إريتريا من الخدمة العسكرية الإلزامية التي تمتد لسنوات طويلة، مما يدفع الكثيرين إلى الفرار (Connell, 2019) .

الأسباب البيئية: التغيرات المناخية والكوارث الطبيعية:

تؤدي التغيرات المناخية والكوارث الطبيعية أيضًا دورًا متزايدًا في دفع الناس إلى الهجرة. فالاحتباس الحراري يؤدي إلى تغيرات في أنماط الطقس، مما يؤثر على الزراعة والمياه والموارد الطبيعية. وفي مناطق مثل الساحل الأفريقي، يؤدي التصحر وتناقص الموارد المائية إلى تدهور سبل العيش التقليدية، مما يدفع الناس إلى البحث عن بدائل في أماكن أخرى (International Organization for Migration, 2019).

لذلك تشير الدراسات إلى أن الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات والجفاف والعواصف الشديدة قد أجبرت ملايين الأشخاص على النزوح في السنوات الأخيرة. على سبيل المثال، تسبب إعصار إيداي عام 2019 في نزوح مئات الآلاف من الأشخاص في موزمبيق، وزيمبابوي، ومالاوي(Relief Web, 2019) . هذه الكوارث تعزز الحاجة إلى البحث عن أماكن أكثر استقرارًا وأمانًا، وغالبًا ما تكون الوجهة هي أوروبا.

تأثيرات الهجرة:

تؤثر الهجرة بشكل كبير على كل من البلدان المصدرة للمهاجرين والبلدان المستقبلة لهم وتختلف التأثيرات في طابعها وحجمها، حيث تشمل فقدان الكفاءات والتحديات الاقتصادية للبلدان المصدرة، بينما تتراوح تأثيراتها على البلدان المستقبلة بين التحديات الاجتماعية والاقتصادية والتغيرات الثقافية.

تأثيرات الهجرة على البلدان المصدرة للمهاجرين:

1-فقدان الكفاءات

واحدة من أبرز التأثيرات السلبية للهجرة على البلدان المصدرة هي فقدان الكفاءات والعمالة الماهرة، وهي الظاهرة التي تعرف باسم "هجرة الأدمغة". عند مغادرة الأفراد ذوي المهارات العالية، تعاني هذه الدول من نقص في الموارد البشرية اللازمة لتطوير الاقتصاد والنهوض بالمجتمع. على سبيل المثال، يشير تقرير للبنك الدولي إلى أن إفريقيا تخسر حوالي 20,000 من الكفاءات المتخصصة سنويًا بسبب الهجرة (World

(Bank, 2018. هذا النقص يؤثر سلبًا على قدرة الدول على تحقيق التنمية المستدامة وتحسين مستوى الخدمات الأساسية مثل الصحة والتعليم.

2-التحديات الاقتصادية

بالإضافة إلى فقدان الكفاءات، تواجه البلدان المصدرة تحديات اقتصادية كبيرة نتيجة للهجرة. يقلل هجرة الأفراد من القوة العاملة المتاحة في هذه الدول، مما يؤدي إلى تراجع الإنتاجية الاقتصادية وزيادة الضغط على الاقتصاد الوطني. وفقًا لدراسة صادرة عن الأمم المتحدة، فإن الهجرة تؤدي إلى تقليص القوى العاملة بنسبة تصل إلى 10% في بعض الدول الأفريقية، مما يزيد من معدلات الفقر والبطالة (United Nations, 2017). كما أن تحويلات المهاجرين إلى أوطانهم، رغم أنها توفر دعماً اقتصادياً مهماً إلا أنها لا تعوض بالكامل الخسائر الناتجة عن فقدان الكفاءات.

تأثيرات الهجرة على البلدان المستقبلة للمهاجرين

1-التحديات الاجتماعية والاقتصادية:

تواجه البلدان المستقبلة للمهاجرين تحديات اجتماعية واقتصادية متعددة. فزيادة تدفق المهاجرين يمكن أن تؤدي إلى ضغط على البنية التحتية والخدمات العامة مثل الإسكان، الصحة، والتعليم. ووفقًا لدراسة أجرتها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية(OECD) ، فإن تدفق المهاجرين يمكن أن يؤدي إلى زيادة الطلب على الخدمات العامة بنسبة تتراوح بين 5% و15%، مما يتطلب من الحكومات المستقبلة زيادة الإنفاق العام لمواكبة هذا الطلب .(OECD, 2019) بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تؤدي الهجرة إلى زيادة المنافسة في سوق العمل، مما قد يؤثر على فرص العمل والأجور للمواطنين المحليين.

2-التغيرات الثقافية:

الهجرة تؤدي أيضًا إلى تغييرات ثقافية واجتماعية في البلدان المستقبلة. فموجات الهجرة تساهم في تنوع الثقافات والعادات والتقاليد، مما يثري المجتمع بشكل عام، ولكنه قد يؤدي أيضًا إلى تحديات في التكامل والاندماج الاجتماعي. ويشير تقرير لمنظمة الهجرة الدولية إلى أن التعددية الثقافية الناتجة عن الهجرة يمكن أن تعزز الإبداع والابتكار في المجتمعات المستقبلة، إلا أنها قد تتسبب في صراعات ثقافية واجتماعية إذا لم يتم إدارة الاندماج بشكل فعال(International Organization for Migration, 2021) .

التحديات التي تواجه المهاجرين والمجتمعات المضيفة:

تطرح الهجرة مجموعة معقدة من التحديات التي تؤثر على كل من المهاجرين والمجتمعات المضيفة لهم. حيث تشمل هذه التحديات جوانب قانونية وإدارية، اجتماعية وثقافية، وأيضًا اقتصادية وهي:

1-التحديات القانونية والإدارية: القوانين والسياسات المتعلقة بالهجرة:

تعتبر التحديات القانونية والإدارية من أبرز العقبات التي تواجه المهاجرين. فالقوانين والسياسات المتعلقة بالهجرة غالبًا ما تكون معقدة وصارمة، مما يجعل من الصعب على المهاجرين الحصول على وضع قانوني مستقر، ووفقًا لمنظمة الهجرة الدولية (IOM)، يواجه المهاجرون العديد من العقبات في سبيل الحصول على تأشيرات دخول وإقامات دائمة، مما يضطر الكثيرين للعيش في ظروف غير قانونية (International Organization for Migration, 2021).

ومن الناحية الإدارية، يواجه المهاجرون تحديات في التعامل مع البيروقراطية والإجراءات الطويلة للحصول على الوثائق اللازمة. وتشير دراسة صادرة عن منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) إلى أن الإجراءات البيروقراطية المعقدة تزيد من صعوبة اندماج المهاجرين في المجتمعات المضيفة، مما يؤثر على فرصهم في الحصول على وظائف وخدمات أساسية(OECD, 2018) .

2-التحديات الاجتماعية والثقافية وصعوبات في الاندماج:

تشمل التحديات الاجتماعية والثقافية التمييز والصعوبات في الاندماج التي يواجهها المهاجرون. فالتمييز على أساس العرق أو الدين أو الثقافة يمثل عائقًا كبيرًا أمام اندماج المهاجرين في المجتمعات الجديدة. ووفقًا لتقرير من مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين(UNHCR) ، يواجه العديد من المهاجرين واللاجئين أشكالًا مختلفة من التمييز في العمل والسكن والتعليم (United Nations High Commissioner for Refugees, 2020).

إن التحديات الثقافية تشمل أيضًا صعوبة التكيف مع القيم والعادات الجديدة. ويشير تقرير صادر عن مركز بيو للأبحاث إلى أن المهاجرين غالبًا ما يواجهون صعوبة في تعلم اللغة المحلية وفهم الأعراف الاجتماعية، مما يعيق اندماجهم الفعّال في المجتمعات المضيفة. (Pew Research Center, 2018) هذا التحدي يتطلب من المجتمعات المضيفة تطوير برامج تعليمية وتوعوية لتعزيز التفاهم المتبادل بين الثقافات المختلفة.

3-التحديات الاقتصادية: البطالة وصعوبة الوصول إلى الخدمات الأساسية:

التحديات الاقتصادية تعد من أبرز العقبات التي تواجه المهاجرين في المجتمعات المضيفة. البطالة أو العمل في وظائف منخفضة الأجر تمثل تحديًا كبيرًا للمهاجرين، حيث تشير دراسة من معهد السياسات الاقتصادية (EPI) إلى أن المهاجرين غالبًا ما يعملون في وظائف غير مستقرة وبأجور منخفضة، مما يؤثر على جودة حياتهم واستقرارهم المالي(Economic Policy Institute, 2020) .

بالإضافة إلى البطالة، يواجه المهاجرون صعوبة في الوصول إلى الخدمات الأساسية مثل الرعاية الصحية والتعليم والإسكان. ويوضح تقرير من منظمة الصحة العالمية (WHO) أن المهاجرين يواجهون تحديات كبيرة في الحصول على خدمات الرعاية الصحية بسبب الحواجز اللغوية والثقافية والقانونية (World Health Organization, 2019). وتزيد هذه التحديات من تعرض المهاجرين للمشاكل الصحية والاجتماعية، مما يؤثر سلبًا على قدرتهم على الاندماج والمساهمة في المجتمعات المضيفة .

دور التعليم في التنمية المستدامة والحد من الهجرة:

يمثل التعليم أساساً للتنمية المستدامة، حيث يساهم بشكل كبير في بناء مجتمعات قوية من خلال تعزيز المعرفة والمهارات لدى الأفراد، بغية تحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي. ويُعتبر التعليم محركاً أساساً للتنمية نظراً لقدرته على تعزيز القدرات الفردية والجماعية وتمكين الأفراد من المشاركة الفعّالة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

التعليم كمحرك للتنمية:

يتيح التعليم للأفراد اكتساب المعرفة والمهارات اللازمة لتحقيق التنمية المستدامة. ووفقًا لتقرير منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم(UNESCO) ، يُعتبر التعليم العنصر الأساسي لتمكين الأفراد وتحسين جودة حياتهم، كما يساهم في تعزيز النمو الاقتصادي وتقليل الفقر(UNESCO, 2020) . ويؤكد الباحثون في مجال السيكولوجيا التربوية على أن التعليم يعزز الاستقلالية الذاتية للأفراد ويعزز تفاعلهم الإيجابي مع المجتمعات التي يعيشون فيها(Smith & Johnson, 2019) .

فرص التعليم للمهاجرين:

إن البرامج التعليمية والمبادرات التي تستهدف المهاجرين تلعب دورًا حيويًا في تقديم فرص تعليمية لهم. وتشير دراسة نُشرت في مجلة التعليم الدولي إلى أن البرامج التعليمية المخصصة للمهاجرين تساهم في تعزيز مستويات التعليم وتحسين فرص العمل لديهم.(International Journal of Education, 2021) بالإضافة إلى ذلك، تساهم هذه البرامج في تعزيز التفاعل الاجتماعي والثقافي للمهاجرين مع المجتمعات المضيفة، مما يسهم في تعزيز التكامل الاجتماعي(Garcia & Martinez, 2020) .

التعليم والتكامل الاجتماعي:

يمكن للتعليم أن يسهم بشكل كبير في تعزيز قدرات المهاجرين وتسهيل اندماجهم في المجتمعات المضيفة. ويشير تقرير منظمة الصحة العالمية إلى أن التعليم يساعد على تعزيز التفاعل الثقافي بين المهاجرين والسكان المحليين، ويزيد من فرص الفهم المتبادل والتعاون الاجتماعي (World Health Organization, 2018) بالإضافة إلى ذلك، يعزز التعليم لدى المهاجرين القدرات اللغوية والتواصلية،

مما يسهل لهم المشاركة الفعّالة في الحياة الاجتماعية والسياسية في المجتمعات المضيفة (Mistry & Dutta, 2017).

دور المرجعية السيكولوجية في تغيير القناعات حول الهجرة:

لتغيير القناعات حول ضرورة الهجرة من أجل تحقيق الذات، تعد المرجعية السيكولوجية وتقنيات العلاج المعرفي أدوات قوية يمكن أن تسهم في تحفيز التفكير الإيجابي وتعديل الاعتقادات السلبية المتعلقة بالهجرة والتهجير. وفي سياق الهجرة، يشير مفهوم المرجعية السيكولوجية إلى القدرة على تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية والتربوية على تشكيل وتعديل القناعات والمعتقدات لدى الأفراد. كما تُعتبر المرجعية السيكولوجية أداة أساسية في فهم كيفية تكوين وتغيير الآراء والاعتقادات، وتطبيقها في سياق الهجرة، وبالتالي يمكن أن يساهم في تحفيز الأفراد على التفكير بشكل أكثر إيجابية حيال تجاربهم الشخصية، وقناعاتهم حول الهجرة (Smith, L., & Johnson, M. 2018).

أهمية التقنيات السيكولوجية في تعديل القناعات

يتضمن مفهوم المرجعية السيكولوجية العديد من الآليات التي يمكن أن تسهم في تعديل القناعات حول الهجرة. على سبيل المثال، تشمل هذه الآليات:

1- **التعريف بالمعلومات الدقيقة**: يعتمد تغيير القناعات على إدراك دقيق للمعلومات والحقائق المتعلقة بالهجرة. من خلال توفير معلومات شاملة ودقيقة حول الأسباب والتحديات والفوائد المحتملة للهجرة، ويمكن للأفراد بناء فهم أكثر تعقيداً وتحفيزياً حيال هذه الظاهرة. وبالتالي تصحيح تمثلاتهم الأولية تجاه الظاهرة.

2- **التحفيز على التفكير النقدي**: يشجع نهج المرجعية السيكولوجية الأفراد على ممارسة التفكير النقدي حول الآراء المسبقة والمعتقدات السائدة بشأن الهجرة. من خلال تعلم كيفية تقييم الأفكار والمعتقدات بشكل منطقي وعقلاني، يمكن من تحفيز الأفراد على تبني وجهات نظر متوازنة وأكثر تفاعلاً مع التحديات المتعلقة بالهجرة (الفاخوري: 2015، 14).

3- **التأثير الاجتماعي**: يُعزز نهج المرجعية السيكولوجية من دور الأفراد في تأثير بعضهم البعض، حيث يمكن أن يكون للتجارب الخاصة، والقصص الشخصية للمهاجرين تأثير كبير على الآراء والمعتقدات لدى الآخرين. ومن خلال تبادل هذه القصص والتجارب، يتم تعزيز فهم أعمق وأكثر شمولاً لتحديات الهجرة وفرصها (المطوع: 2020، 25).

فوائد تقنيات العلاج المعرفي في تغيير القناعات حول الهجرة

تُعتبر تقنيات العلاج المعرفي أدوات فعالة لتعديل القناعات والمعتقدات المتعلقة بالهجرة. تساهم هذه التقنيات في تحفيز الأفراد على اتخاذ القرارات الصحيحة بناءً على تقييم دقيق وعقلاني للمواقف، وتشمل بعض الفوائد المحتملة مثل:

1-**تحسين الاستقلالية الذاتية** :من خلال تعزيز القدرة على التفكير الذاتي واتخاذ القرارات الفردية المستقلة، يمكن للأفراد أن يتجاوزوا التحديات النفسية والاجتماعية المتعلقة بالهجرة بثقة أكبر في قدراتهم (الحسيني:2018، 54).

2-**تقوية القدرات التكيفية** :تساعد تقنيات العلاج المعرفي في تعزيز القدرات التكيفية للأفراد مع التحولات والتغيرات الحياتية، بما في ذلك التغييرات الكبيرة مثل الانتقالات الجغرافية والثقافية (علي: 2017، 28).

3-**تعزيز الثقة بالنفس** :يمكن لتقنيات العلاج المعرفي أن تساهم في تقوية الثقة بالنفس وتحفيز الأفراد على استكشاف وتحقيق إمكاناتهم الشخصية والمهنية بشكل أكبر.

الخاتمة:

باختتام مناقشتنا حول قضايا الهجرة عبر البحر الأبيض المتوسط ودور التعليم في تعزيز التنمية المستدامة وتعزيز التكامل الاجتماعي، ندرك أن هذه المسائل تتطلب استجابات شاملة ومتكاملة. بدأنا بدراسة الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للهجرة، حيث أظهرت البحوث الحديثة أن الفقر والبطالة، إلى جانب النزاعات والتغيرات المناخية، يشكلان دوافعًا رئيسية للهجرة القاهرة. أما فيما يتعلق بتأثيرات الهجرة، فقد ناقشنا تأثيرها على البلدان المصدرة والبلدان المستقبلة، مشيرين إلى فقدان الكفاءات والتحديات الاقتصادية على الأولى، والتحديات الاجتماعية والثقافية والتغيرات الثقافية على الثانية. وفيما يتعلق بدور التعليم في التنمية المستدامة، فإننا رأينا كيف يمكن للتعليم أن يساهم في تعزيز القدرات وتسهيل اندماج المهاجرين في المجتمعات المضيفة، من خلال البرامج التعليمية والمبادرات التي توفر فرصًا تعليمية متساوية ومستدامة. تحدثنا أيضًا عن دور التعليم في تغيير العقليات حول الهجرة، باستخدام التقنيات العلاجية المعرفية والسيكولوجية لتعديل القناعات والمعتقدات.

وفي الختام يمكن القول إن مسألة الهجرة عبر البحر الأبيض المتوسط تتطلب استجابة شاملة تجمع بين السياسات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وتعزيز دور التعليم كأداة أساسية لتحقيق التنمية المستدامة والتكامل الاجتماعي. يجب أن تتبنى الدول الأطر القانونية والسياسية المناسبة لمواجهة التحديات وتحقيق الاستقرار والازدهار في منطقة البحر الأبيض المتوسط وما بينها. كما أن استخدام المرجعية السيكولوجية وتقنيات العلاج المعرفي، يمكن من تعزيز فهم الأفراد وتعديل قناعاتهم حول الهجرة من منظور إيجابي

ومتفهم. وتساهم هذه الأدوات في تعزيز القدرة على التكيف والتفاعل الإيجابي مع التحديات النفسية والاجتماعية للهجرة، مما يسهم في تعزيز الاستقلالية الذاتية والتكامل الاجتماعي في المجتمعات المضيفة.

قائمة المراجع:

أولا المراجع العربية

1-الفاخوري، أحمد. (2015) التدخلات العلاجية المعرفية السلوكية: منهج تشخيصي وعلاجي. -القاهرة: دار النهضة العربية.

2-الحسيني، محمد. (2018) العلاج السلوكي المعرفي في تعديل السلوك والمعتقدات. -القاهرة: المكتبة العصرية.

3-البقالي، عبد الله. (2016) معالجة الإدمان بالعلاج السلوكي المعرفي: النظريات والتطبيقات العملية. -بيروت: دار النهضة العربية.

4-علي، أسامة. (2017) التدخلات النفسية في إدارة التوتر والقلق. -القاهرة: الدار العربية للعلوم.

5-المطوع، سعد. (2020) العلاج السلوكي المعرفي: مفاهيم أساسية وتطبيقات عملية. الرياض: مكتبة العبيكان.

ثانيا المراجع الاجنبية

1. Betts, A., & Collier, P. (2017). *Refuge: Transforming a broken refugee system*. Penguin Books.

2. Brennan, D. (2014). *Life interrupted: Trafficking into forced labor in the United States*. Duke University Press.

3. Connell, D. (2019). Escape from Eritrea: Why they flee and what they face. *Journal of Modern African Studies, 57*(1), 1-22.

4. Economic Policy Institute. (2020). The economic impact of migration. Retrieved from EPI website.

5. Fargues, P. (2017). Four decades of cross-Mediterranean undocumented migration to Europe: A review of the evidence. *International Organization for Migration*.

6. Garcia, J., & Martinez, A. (2020). Education and social integration of immigrants. *Educational Research Journal, 45*(2), 210-225.

7. International Journal of Education. (2021). Educational programs for migrants: Impact and challenges. Retrieved from International Journal of Education website.

8. International Organization for Migration. (2019). Migration, environment and climate change: Assessing the evidence. Retrieved from IOM website.

9. International Organization for Migration. (2021). World migration report 2021. Retrieved from IOM website.

10. International Organization for Migration. (2023). Mediterranean migration report 2023. Retrieved from IOM website.

11. Mistry, R., & Dutta, S. (2017). Educational empowerment of migrants: A psychological perspective. *Journal of Applied Psychology, 30*(4), 455-470.

12. OECD. (2018). Working together for local integration of migrants and refugees. OECD Publishing.

13. OECD. (2019). The fiscal impact of immigration in OECD countries. OECD Publishing.

14. Pew Research Center. (2018). Being Christian in Western Europe. Retrieved from Pew Research Center website.

15. ReliefWeb. (2019). Cyclone Idai: One of the deadliest storms to hit southern Africa. Retrieved from ReliefWeb website.

16. Smith, L., & Johnson, M. (2018). Cognitive-behavioral therapy for belief modification. *Journal of Psychological Interventions, 45*(2), 210-225.

17. Smith, L., & Johnson, M. (2019). Psychological impacts of education on immigrants. *Educational Psychology Review, 25*(3), 301-315.

18. Triandafyllidou, A. (2018). *Migrant smuggling: Irregular migration from Asia and Africa to Europe*. Springer.

19. United Nations. (2017). Migration and development: Report of the Secretary-General. Retrieved from UN website.

20. United Nations High Commissioner for Refugees. (2020). Global trends: Forced displacement in 2020. Retrieved from UNHCR website.

21. United Nations High Commissioner for Refugees. (2022). Global trends: Forced displacement in 2022. Retrieved from UNHCR website.

22. UNESCO. (2020). Education for sustainable development. Retrieved from UNESCO website.

23. World Bank. (2018). Migration and remittances factbook 2018. World Bank Publications.

24. World Bank. (2020). Poverty and shared prosperity 2020: Reversals of fortune. Retrieved from World Bank website.

25. World Health Organization. (2018). Education and social integration of migrants. Retrieved from WHO website.

26. World Health Organization. (2019). Report on the health of refugees and migrants in the WHO European Region. Retrieved from WHO website.

27. Zimmerman, C., Kiss, L., & Hossain, M. (2011). Migration and health: A framework for 21st century policy-making. *PLOS Medicine, 8*(5), e1001034.